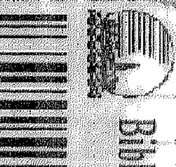


قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الثانى الجزء ٥



التجلد لحر المصيبة ، قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسًا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ، قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلمًا ، فأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ، قالوا : يا لعباد الله ، انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

* شعر حسان فى فتح خيبر :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسان بن ثابت :

بئسما قاتلت خيابر [1] عمـــا جمعوا من مزارع ونخيـل

كرهوا الموت فاستبيح حماهم وأقروا فعل اللئيم الذليـل

أمن الموت تهربوا فإن المـــو ت موت الهزال غير جميل

قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جنوب الأسلمى :

يا لعباد الله فيم يُرغب ما هو إلا مأكل ومشرب

وجنة فيها نعيم معجب

* تَقْسِيمُ أموال خيبر :

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشق ونطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة فى سهمان المسلمين ، وكانت الكتيبه خمس الله ، وسهم النبى ﷺ ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطعم أزواج النبى ﷺ وطعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فدك بالصلح ، ومنهم محيصة بن مسعود ، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا [2] ، من شعير ، وثلاثين وسقا من تمر ، وقسمت خيبر على أهل الحديبية ، من شهد خيبر ، ومن غاب عنها ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها ، وكان وادياها وادى السريرة ، ووادى خاص [1] ، وهما اللذان قسمت

---

(١) أهل خيبر .

(٢) الوسق : يريد به هنا قيمة حمل البعير أو ستين صاعا ، ومن معانيه أيضا حمل النخلة وليس مرادًا هنا .

(١) قال السهيلى فى الروض الأنف : إنه وادى خلص .

عليهما خيبر ، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهمًا ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهمًا ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .

وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم . الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا فرس فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم (١) ، وكان لكل راجل (٢) سهم ، فكان لكل سهم رأس جمع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً جمع .

قال ابن إسحاق : فكان على بن أبى طالب رأسًا ، والزبير بن العوام ، وطلحة ابن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخو بنى العجلان ، وأسيد بن حضير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيدة ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة ، وعبيد السّهام .

قال ابن إسحاق وسهم ساعدة ، وسهم غفار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام ، وهو الخزع (٣) ، وتابعه السَّرِيْر ، ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم ، وفيه قتل محمود بن مسلمة فهذه نطاة .

ثم هبطوا إلى الشق (٤) ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى العجلان ، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهم سلمة بن عبيد وبنى حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عبيد السهام ، ثم سهم أوس ، وهو سهم اللفيف ، جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب ، وكان حذوه سهم رسول الله ﷺ ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى (٥) .

---

(١) قال ابن هشام : وفى يوم خيبر عرَّب رسول الله ﷺ العربى من الخيل ، وهجَّن الهجين .

(٢) أى الذى يحارب سيراً على قدميه بدون فرس .

(٣) مكان قريب من خيبر .

(٤) حصن بخيبر .

(٥) ويتضح فى كل ما سبق مدى عدالته ﷺ فى التوزيع والقسمة وعندما قسم بعد ذلك الكتيبة قسم - كما قال ابن هشام - على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

ثم قسَّم رسول الله ﷺ الكتيبة ، وهى وادى خاص [١] ، بين قرابته وبين نسائه وبين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مئتى وسق ، ولعلى بن أبى طالب مئة وسق ، ولأسامة بن زيد مئتى وسق وخمسين وسقًا من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين مئتى وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة مئة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب مئة وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا ، ولربيعة بن الحارث مئة وسق وللصلت بن مخرمة وابنيه مئة وسق للصلت منها أربعون وسقا ، ولأبى نبقة [٢] خمسين وسقا ولركانة بن عبد يزيد خمسين وســقا ، ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقا ، ولأبى القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقاء ولمسطح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقا ، ولأم رميثة أربعين وسقا ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين وسقا ، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب [٣] ثلاثين وسقا ، ولجماعة بنت أبى طالب ثلاثين وسقا ، ولابن الأرقم خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقا ، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقا ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبى بصرة عشرين وسقا ، ولنميلة الكلبى خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا لابنيه منها أربعين وسقا ، ولأم حبيب بنت جحـــش ثلاثين وسقا ، ولملكوم بن عبدة ثلاثين وسقا ، ولنسائه ﷺ سبع مئة وسق .

* * *

---

(١) قال السهيلى فى الروض : وادى خلص .

(٢) هو علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقال أبو عمر : هو مجهول وقال ابن الفرضى : أبو نبقة بن المطلب بن عبد مناف ، واسم أبى نبقة : عبد الله ، ومن ولده محمد بن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبقة ، ومن ولده : أبو الحسين المطلبى إمام مسجد رسول الله ﷺ وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبى نبقة بن المطلب بن عبد مناف .

(٣) الصحيح أنها أم حكيم وهى بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباغة ، وكانت تحت ربيعة بن الحارث ، أما أم الحكم فهى بنت أبى سفيان وهى من مسلمة الفتح ، وهى لم تشهد خيبر ولم تكن مسلمة وقتها .

ذِكْرُ مَا أَعْطَى مُحَمَّدٌ رسول الله ﷺ نِسَاءهُ من قَمْحِ خَيْبَر

* **نَصِيْبُ أُمَّهَاتِ المؤمنين وفاطمة :**

قسم لهن مئة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ولأم رميثة خمسة أوسق . شهد عثمان بن عفان ، وعباس وكتب .

وصية الرسول عند موته : قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : لم يوص رسول الله ﷺ عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرهاويين بجاد مئة وسق من خيبر ، والداريين بجاد مئة وسق ، من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجاد مئة وسق من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة ، وألا يترك بجزيرة العرب دينان .

خبر فدك : قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك ، فقدمت عليه رسلهم بخيبر ، أو بالطائف أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب [1] .

* * *

(١) ولكن بصلح لاقتال فيه .

تَسْمِيَةُ النَّفَرِ الداريين
الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

وهم بنو الدار بن حبيب بن نمارة بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام : تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نعمان ، وجبلة بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله .

فكان رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا [١] بين المسلمين ويهود ، فيخرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحدًا ، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، هو الذى يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً فى معاملتهم ، حتى عدوا فى عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى عن سهل بن أبى حَثْمة ، وحدثنى أيضا بشير بن يسار مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حثمة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً ، فوجد فى عين قد كسرت عنقه ، ثم طرح فيها ، قال فأخذوه فغيبوه ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ ، فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَة ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًّا [٢] . وكان

---

(١) الخارص : الذى يقدر الشىء نظراً بلا وزن ولا كيل ، من الخرص : وهو الظن .
(٢) أى أصغرهم سنًّا .

صاحب الدم · وكان ذا قدم فى القوم · فلما تكلم قبل ابنى عمه قال رسول الله ﷺ : الكبر الكبر [١] ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن عبد الرحمن بن بجيد بن قَيظى : أخى بنى حـارثة ، قال محمد بن إبراهيم · وايم الله [٢] ، ما كان سهل بأكثر علماً منه · ولكنه كان أسن منه · إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوهم ، ما قال رسول الله ﷺ : احلفوا على ما لا علم لكم به · ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار أنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه [٣] ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه · ولا يعلمون له قاتلاً فوداه [٤] رسول الله ﷺ من عنده ·

* إجلاء اليهود عن خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن شُعَيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد إلا أنه قال فى حديثه : ودوه أو ائذنوا بحرب ، فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ، فوداه رسول الله ﷺ من عنده ·

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهرى : كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خرجها ، أبتَّ ذلك لهم حين قبض أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟ ·

فأخبرنى ابن شهاب : أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسـول الله ﷺ ، خَمَّسها رسول الله ﷺ ، وقسَّمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقركم ما أقركم الله ، فقبلوا ، فكانوا يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم فى الخرص ، فلما توفـى الله نبيه ﷺ ، أقرها أبو بكر رضي الله عنه ، بعد

---

(١) أى قدموا الأكبر ·

(٢) أى أقسم بالله ·

(٣) فعل أمر معناه ادفعوا ديته ·

(٤) أى دفع ديته ·

رســـول الله ﷺ بأيديهم ، على المعاملة التى عاملهـــم عليها رسول الله ﷺ ، حتى توفى ، ثم أقرها عمر رضي الله عنه صدرا من إمارته · ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه : لا يجتــمعن بجزيرة العرب دينان ، ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود ، فقال إن الله عز وجل قد أذن فى جلائكم ، قد بلغنى أن رسول الله ، قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم ·

*** عمر يجلى اليهود من خيبر :**

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال : فعدى علىَّ تحت الليل ، وأنا نائم على فراشى ، ففدعت [١] يداى من مرفقى ، فلما أصبحت استصرخ علىَّ صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، قال : فأصلحا من يدى ، ثم قدما بى على عمر رضي الله عنه ، فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوِهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مخرج يهود فأخرجهم ·

عمر يقسِّم وادى القرى : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى مسلمة ، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم – ويزيد بن ثابت ، وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السهمان ، التى كانت عليها ·

---

(١) الفدع : اعوجاج فى المفاصل ، كأنها أزيلت عن أماكنها ·

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى [١] ، لعثمان بن عفان خطر [٢] . ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمر بن أبى سلمة خطر ، ولعامر بن أبى ربيعة خطر ، ولعمر بن سراقة خطر .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولابن الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن حزمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمهما .

* * *

---

(١) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة وبالتحديد بين تيماء وخيبر ، وفيه قرى كثيرة وسمى بذلك لكثرة القرى المنظومة به ، وقيل إن هذا الوادى كان فيه منازل عاد وثمود التى أهلكها الله عليهم ، ثم سكنها اليهود فهم ملعونون مثلهم .

(٢) قال ابن هشام : الخطر : النصيب .

قُدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة وحديث المهاجرين معه

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية ·

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب (١) ، معه امرأته أسماء بنت عُميس الخثعمية ، وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة · قتل جعفر بمؤته من أرض الشام أميرًا لرسول الله ﷺ ، رجل ·

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة قتل خالد بمرج الصفر (٢) فى خلافة أبى بكر الصديق بأرض الشام ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة · قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه ·

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أُحيحة :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى عَنْكَ يَا عَمْرو سَائِلاً ... إِذَا شَبَّ وَاشْتَدتْ يَدَاهُ وُسلحَا

أتترك أمْرَ القَوْم فِيه بَلابِل ... تكشف غَيْظًا كَان فى الصَّدْرِ مُوجِحَا (٣)

ولعمر وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظريبة ، من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها :

---

(١) ذكر الشعبى أن جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه - أى عانقه - وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسرٌّ : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟! ولا يظن أن هذا الموضوع ذكر قبل ذلك فإن هؤلاء العائدون لا المسافرون وأثبتناه كما وجدناه ·

(٢) موضع بدمشق ·

(٣) البلابل : الاضطراب ، موجحا : مستورًا ·

أَلاَ لَيْتَ ميتًا بِالظَّرِيبة شَـــاهِدٌ لَما يفتَرى فِى الدين عَمْرو وَخَالد
أَطَاعَا بِنَا أَمْرَ النِّسَاءِ فَأَصبَـــحا يُعِينَانِ مِنْ أَعْـــدَائِنَا من نُكَابِد

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أَخِى مَا أَخى لاَ شَاتِم أَنا عرْضَهُ وَلا هُو من سُـــوءِ المقَالَةِ مقْصر
يَقول إذَا اشْتَدتْ عَليه أُمـــورهُ أَلا لَيْتَ مَيْتًا بالظَّريبـــــة يُنْشَرُ
فَدع عَنْك مَيْتًا قَدْ مَشى لِسَبِـيله وَأَقبل عَلى الأَدْنَى الـــذى هُو أَفْقَرُ

ومعيقيب بن أبى فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص ، وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عُتْبة ابن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى : الأســـود بن نوفل بن خُوَيلد . رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : جهم بن قيس بن عبد شُرحبيل ، معه ابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناه لها ، رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبى وقاص ، وعتبة بن مسعود ، حليف لهم من هذيل . رجلان .

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، هلكت بأرض الحبشة رجل .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمان بن ربيعة بن أهبان . رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب . محمية بن الجزء ، حليف لهم من زبيد ، كان رسول الله ﷺ ، جعله على خُمس المسلمين (١) . رجل .

---

(١) أى حارسًا على الخمس من الغنيمة .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : معمر بن عبد الله بن نضلة رجل ٠

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان ابن عبد شمس ٠ رجلان ٠

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط ٠ رجل ٠

وقد كان حمل النجاشى معهم فى السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين ٠

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أمية الضمرى فى السفينتين ، فجميع من قدم فى السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلا ٠

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، ولم يحمل النجاشى فى السفينتين إلى رسول الله ﷺ ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مُهاجرة الحبشة [١] :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدى أسد خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رملة خرج مع المسلمين مهاجرا ، فلما قدم أرض الحبشة تنصَّر [٢] بها وفارق الإسلام ، ومات هنالك نصرانيا ، فخلف [٣] رسول الله ﷺ على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ٠

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ، قال : فكان إذا مرَّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال : فتحنا وصأصأتم ، أى قد

---

(١) أى الذين هاجروا إلى الحبشة ٠

(٢) تنصَّر : أى دخل فى النصرانية واعتنق مبادئها وارتد عن الإسلام ٠

(٣) أى تزوجها النبى ﷺ بعده ، وأصبحت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وروت كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ ٠

أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أنَّا قد فتحنا أعيننا فأبصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمة ، وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة ، وامرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبى سفيان ابن حرب ، كانتا ظئرى [١] عبيد الله بن جحش ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجروا إلى أرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قُصى : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد ، قتل يوم حُنين مع رسول الله ﷺ شهيداً ، وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد هلك بأرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلان .

ومن بنى زُهرة بن كلاب بن مرة : المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضُبيرة بن سعيد بن سعد [٢] ابن سهم هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبد الله بن عبد المطلب ، فكان يقال : إن كان لأول رجل ورث أباه فى الإسلام . رجل .

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم ، قتل بالقادسية [٣] مع سعد بن أبى وقاص رجل .

من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب : هبار بن سفيان بن عبد الأسد ،

---

(١) الظئر : هى التى ترضع غير ولدها .

(٢) ذكر فى بعض النسخ « سعد » ، وفيما يأتى « سعيد » وهو تحريف ، قال السهيلى فى الروض الأنف : وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق : « سعيد » ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم .

(٣) معركة القادسية كانت فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب وكانت بين المسلمين والفرس ، وقائدها سعد بن أبى وقاص وانتصر المسلمون فيها .

قتل بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه ، وأخوه عبد الله بن سفيان قتل عام اليرموك بالشام فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشك فيه أقتل أم لا : وهشام [١] بن أبى حُذيفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر ٠

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : حاطب بن الحارث بن مَعْمر ابن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المحلل ٠ هلك [٢] حاطب هناك مسلما ٠ فقدمت امرأته وابناه وهى أمهما فى إحدى السفينتين وأخوه حطَّاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار هلك هناك مسلما فقدمت امرأته فكيهة فى إحدى السفينتين وسفيان بن معمر بن حبيب وابناه جنادة وجابر وأمهما حَسَنة وأخوهما لأمهما شرحبيل ابن حَسنة [٣] وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٠ ستة نفر ٠

ومن بنى سهم بن هُصَيْص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم الشاعر هلك بأرض الحبشة وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم قتل يوم اليمامة [٤] فى خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وهو (رسول) [٥] رسول الله ﷺ إلى كسرى ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو وقتل بأجنادين فى

---

(١) هشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، واسم أبى حذيفة مهشم ، وذكر الواقدى هشامًا هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قيل فيه : هاشم ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا أبو معشر فى القادمين من الحبشة ٠

(٢) هلك : مات ٠

(٣) حسنة أمه ولذلك وجب أن نضع الألف فى ابن فنقول : شرحبيل ابن حسنة ؛ لأن القاعدة تقول تحذف ألف ابن إذا كانت بين علمين الثانى منهما أبو الأول ، وهنا أمه فوجب إثباتها ٠

(٤) أى معركة اليمامة وهى التى قُتل فيها مسيلمة الكذاب قتله وحشى – الذى قتل حمزة ابن عبد المطلب – وكان مسلمًا يوم اليمامة ويقاتل فى صفوف المسلمين ٠

(٥) أى سفير أو مبعوث الرسول ﷺ ٠

خلافة أبى بكر ﷺ وسعيد بن الحارث بن قيس قتل عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، والسائب بن الحارث بن قيس ، جرح بالطائف مع رسول الله ﷺ ، وقتل يوم فحل [١] فى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ . ويقال : قُتل يوم خيبر ، يشك فيه ، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم ، قُتل بعين التمر مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة ، فى خلافة أبى بكر ﷺ . أحد عشر رجلاً .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . هلك بأرض الحبشة ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان ، هلك بأرض الحبشة رجلان .

وكان مع عدى ابنه النُّعمان بن عدى ، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله على ميسان ، من أرض البصرة فقال أبياتا من شعر ، وهى :

أَلا هَلْ أَتى الحَسْنَاء أَنْ حَلِيلَها ... بَميسان يُسْقَى فى زُجَاجٍ وَحَنْتَم [٢]

إذا شئتُ غَنتنى دَهَاقين قَرية ... وَرَقَاصَة تجثو عَلى كل مَنْسَم [٣]

فَإن كُنْتَ نَدْمَانِى فَبِالأكبر اسقنى ... وَلا تسقنى بالأصغَر المتثلم

لَعَل أمير المُؤْمِنينَ يَسوؤُه ... تَنادمنا فى الجَوسق المُتَهدم [٤]

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءُنى ، فمن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وعزله فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا مما بلغك أنى قلته قط ، ولكنى كنت امرءًا شاعرًا ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ، فقال له عمر : وايم الله ، لا تعمل لى على عمل ما بقيتُ ، وقد قلت ما قلت .

---

(١) فحل : موضع بالشام كانت فيه معركة بين المسلمين والروم .

(٢) الحنتم : جرار مصبوغة بخضرة .

(٣) الدهاقين : رؤساء الأقاليم ، تجثو : تبرك على ركبتيهما . والمنسم : فى الأصل طرف خف البعير ، فاستعاره هنا لطرف قدمها .

(٤) الجوسق : الحصن .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر · وكان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى هوذة بن على الحنفى باليمامة · رجل ·

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن غنم بن زهير بن أبى شداد ، وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير ابن أبى شداد ثلاثة نفر ·

فجميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا ·

• الهالكون منهم :

وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مَناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية ، مات بها نصرانيا ·

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى : عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ·

ومن بنى جمح : حَاطب بن الحارث ، وأخوه حطَّاب بن الحارث ·

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس ·

ومن بنى عَدى بن كعب بن لُؤى : عُروة بن عبد العُزَّى بن حرثان بن عوف ، وعَدى بن نضلة سبعة نفر ·

ومن أبنائهم من بنى تَيْم بن مُرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر رجل ·

* * *

مُهَاجِراتِ الحَبشة

وجَميع من هَاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم منهم ومن هلك هُنَالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ومن خرج به معهن حين خرجن :

من قريش ، من بنى هَاشم رُقية بنت رسول الله ﷺ (١) .

ومن بنى أُمية : أُم حبيبة بنت أبى سفيان ، مع ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ورجعت بها معها .

ومن بنى مَخزوم : أُم سَلمة بنت أُمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى تَيم بن مُرة : ريطة بنت الحارث بن جَبِيلة هلكت بالطريق وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك عائشة بنت الحارث وزينب بنت الحارث هلكن جميعًا وأخوهن موسى بن الحارث من ماء شربوه فى الطريق وقدمت بنت لها ولدتها هنالك فلم يبق من ولدها غيرها يقال لها فاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو ، رَملة بنت أبى عوف بن ضبيرة .

ومن بَنى عَدى بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لُؤى : سودة بنت زمعة بن قيس ، وسَهلة بنت سُهَيل بن عمرو ، وابنة المجلل ، وعمرة بنت السعدى بن وقدان ، وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية ، وفاطمة بنت

---

(١) وكانت زوجة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنهما . وكانا من أوائل المهاجرين إلى الحبشة .

صَفْوان بن أُمية بن محرث الكنانية ، وفكيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحَسَنة ، أم شرحبيل ابن حَسَنة .

من وُلد من أبنائهم بالحبشة : وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس : محمد بن أبى حُذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد .

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبى سلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المطلب بن أزهر .

ومن بَنى تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حُذيفة ، وسعيد ابن خالد ، وعبد الله بن عبد المطلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

عُمْرَةُ القَضاء

فى ذى القِعْدة سَنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجُماديين [١] ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوال ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدوه عنها .

● سَبَبُ التسمية :

ويقال لها عُمرة القصاص [٢] ؛ لأنهم صدوا رسول الله ﷺ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست . فاقتص رسول الله ﷺ ، منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه ، من سنة سبع .

---

(١) أى جُمادى الأولى وجمادى الآخرة ولا تقول الثانية .

(٢) عمرة القصاص : ،وهذا الاسم ، أولى بها لقوله تعالى : ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص** ﴾ (البقرة : ١٩٤)،وهذه الآية فيها نزلت ؛ فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عمرة القضاء لأن النبى ﷺ قاضى قريشا عليها ، لا لأنه قضى العمرة التى صُد عن البيت فيها فإنها لم تك فسدت بصدهم عن البيت بل كانت عمرة تامة متقبلة حتى إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحل احتملها الريح فألقتها فى الحرم ، فهى معدودة فى عمر النبى ﷺ - وهى أربع : عمرة الحديبية ، عمرة القضاء ، عمرة الجعرانة ، والعمرة التى قرنها مع حجة الوداع . وفى أصح القولين أنه كان قارنا فى تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام - فى شوال كذلك . روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات أنهن كن كلهن فى ذى القعدة إلا التى قرن مع حجة كذلك روى الزهرى ، وانفرد معمر عن الزهرى بأنه عليه السلام كان قارنا ، وأن عمره كن أربعا بعمرة القران وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذى انه حج ثلاث حجات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهى حجة الوداع . ولا ينبغى أن يضاف إليه فى الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس إذ كان بمكة كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكماله ، لأنه كان مغلوبًا على أمره وكان الحج منقولا عن وقته ، كما تقدم فى أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه =

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : ﴿والحرماتُ قصاص﴾ .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك ، هى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكةخرجوا عنه ، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه فى عسرة وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عباس ، قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رســـــول الله ﷺ المسجد اضطبع [١] بردائه وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرءًا أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول [٢] ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم ، واستلم الركن اليمانى ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام [٣] ناقته يقول :

= فى كل سنة أحد عشر يوماً هذا هو الذى منع النبى - ﷺ - أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج مقفله من تبوك ، وذلك بإثر فتح مكة بيسير ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحجون ، ويطوفون عراة فأخر الحج ، حتى نبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وذلك فى السنة التاسعة ، ثم حج فى السنة العاشرة بعد إنحاء رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ، ولذلك قال فى حجة الوادع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .

والعمرة واجبة فى قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبى : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : « وأتموا الحج والعمرة لله » بالرفع - أى رفع لفظ العمرة على جعل « والعمرة لله » كلاما مستأنفا لا يعطفها على الحج ، وقال عطاء : هى واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يعتمر الرجل فى العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة فى ذلك ، وهو قول على وابن عباس وعائشة والقاسم ابن محمد . قالوا : يعتمر الرجل فى العام ما شاء .

(١) اضطبع : أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر .

(٢) يهرول : من الهرولة وهى فوق المشى ودون الجرى .

(٣) خطام ناقته : الحبل الذى تقاد به .

خلوا بَنى الكُفَّار عــن سَبِيلِهِ ... خلُّوا فكُــلُّ الخَيرِ فِى رَسُولِهِ

يَا رَبُّ إِنِّــى مُؤْمِنٌ بِـــقِيله ... أعرفُ حَق اللهِ فى قَبـوله (١)

نَحن قَتَلْنَاكم علــى تَأويلـــه ... كَما قَتلناكم عَلى تَنْزِيـله (٢)

ضَرْبًا يَزيل الهَام عن مَقِيـــله ... وَيذهل الخَليل عــن خليلِهِ

• زواج الرسول ﷺ بميمونة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح عن عطاء بن أبى رباح ومجاهد أبى الحجاج ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث (٣) فى سفره وهو حرام (٤) ، وكان الذى زوجــه إياها (٥) العباس بن عبد المطلب ·

فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله ﷺ بمكة ، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ·

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بمـــكة ثلاثا ، فأتاه حُوَيْطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد وُد بن نـــصر بن مالك بن حسل ، فى نفر من قريش، فى اليوم الثالث،وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة ؛ فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبى ﷺ : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا · فخرج رسول الله ﷺ ، وخلف (٦) أبا رافع ، مولاه

(١) قيله : قوله ·

(٢) ويروى : اليوم نضربكم علي تأويله بسكون الباء ، وهو جائز فى الضرورة ، نحو قول امرئ القيس : فاليوم أشربْ غير مستحقب ·

(٣) أمها : هند بنت عوف الكنانية ·

(٤) أى وهو مُحرم ·

(٥) زوجه إياها : أى كان وليّها فى عقد الزواج ·

(٦) أى تركه وراءه ·

على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف [١] ، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة ٠

* * *

(١) مكان قرب التنعيم وبسرف كانت وفاتها رضي الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، وصلى عليها ابن عباس ، ويزيد بن الأصم : وكلاهما ابن أخت لها ، ويقال : فيها نزلت ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى ﴾ فى أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ، وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لرسول الله ﷺ ٠ واختلف الناس فى تزويجه إياها أكان محرمًا أم حلالا فروى ابن عباس أنه تزوجها محرمًا ، واحتج به أهل العراق فى تجويز نكاح المحـــرم ، وخالفـــهم أهل الحجاز ، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن ينكح المحرم أو ينكح ، وزاد بعضهم فيه : أو يخطب من رواية مالك ، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ، وخرج الدارقطنى والترمذى أيضا من طريق أبى رافع أن النبى ﷺ تزوج ميمونة ، وهو حلال ٠ وروى الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة أنه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس وفى مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضي الله عنها ، قالت : تزوج رسول الله (ﷺ) وهو محرم ، واحتجم وهو محرم ، وإن لم تذكر فى هذا الحديث ميمونة ، فنكاحها أرادت ، وهو حديث غريب، وخرج البخارى حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ، ولا غيره ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : غلط ابن عباس أو قال وهم ، ما تزوجها النبى ﷺ إلا وهو حلال ، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبى ﷺ - تزوجها محرمًا ، ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغرابًا شديدًا ما رواه الدارقطنى فى السنن من طريق أبى الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ تزوج ميمونة ، وهو حلال ، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره ، فقف عليها، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وهناك من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرمًا ، أى : فى الشـــهر الحرام ، وفى البلد الحرام ، وذلك أن ابن عباس رجل عربى فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يرد الإحرام بالحج ، وقد قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا ودعا فلم أر مثله مخذولا

وذلك أن قتله كان فى أيام التشريق ، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس ، أو لا ٠٠ عن الروض الأنف ٠

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل فى عمرة القضاء ، فيما حدثنى أبو عبيدة ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصِّرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا ﴾ يعنى خيبر ٠

ذِكْرُ غَزْوةِ مُؤْتة (١)

فى جُمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رَوَاحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والمحرم وصفرا وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة ·

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس ·

• بُكاءُ عبد الله بن رَوَاحَة وشعره للرسول :

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رَوَاحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : ما والله ما بى حب الدنيا ولا صَبَابة (٢) بكم ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيًّا** ﴾ (٣) ، فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين · فقال عبد الله بن رَوَاحة :

---

(١) وهى مهموزة الواو ، وهى قرية من أرض البلقاء · من الشام ، وأما الموتة بلا همزة ، فضرب من الجنون « وفى الحديث إن النبى ﷺ كان يقول فى صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ». وفسره راوى الحديث ، فقال : نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر ، وهمزه الموتة ·

(٢) الصبابة : الوله والعشق ·

(٣) سورة مريم : الآية ٧١ ·

لكنَّنى أسأل الرَّحْمـــنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبة ذَات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا (١)
أو طَعْنة بِيَدى حَرَّان مَجْهـــزَة بِحَرْبة تَنْفذ الأحْشـــاءَ والكَبِدا(٢)
حَتى يُقال إذَا مَرَوا على جدثـى أرشده اللهَ من غَار وقد رشَدا (٣)

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رَوَاحة رسول الله ﷺ فودَّعه ، ثم قال :

فَثَبَّتَ اللهُ مَا أتاكَ مِن حَسَــنٍ تَثبيت مَوسى ونَصرًا كالذى نصرُوا
إنِّى تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْر نَافِــلة اللهُ يَعْلَمُ أنِّى ثَابِـــتُ البَـــصَر
أنْتَ الرَّسُول فَمَن يحْرم نَوافله والوَجه منه فقـــد أزرى به القَدَرُ

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلام على امرئ وَدعتُه فى النَّخْلِ خَيْر مشيع وخَليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب ، من أرض البلقاء ، فى مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له .

قال : فشجع الناسَ عبدُ الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التى تكرهون ، للتى خرجتم تطلبون الشـهادة ، وما نـقاتل الناس بعـــدد ولا قوة ، ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور (٤) وإما شـــهادة . قال : فـــقال الناس : قد والله صـــدق ابن رواحة . فمضى الناس ؛ فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك :

---

(١) الفرغ : السعة ، والزبد فى الأصل الرغوة ، ويراد هنا شدة تدفق الدم .
(٢) المجهزة : التى تجهز عليه ، أى تسرع فى قتله .
(٣) الجدث : القبر . (٤) ظهور : أى نصر .

جَلَبْنَا الخَيْل من أَجـــإ وفَرع ... تُغر من الحَشيـش لها العكوم (١)

حَذَوناها من الصَّوّان سبتـــا ... أزل كأن صفحـــته أديم (٢)

أَقَامَتْ لَيلتين عَلى مَعـــان ... فاعقب بعْدَ فَتْرتَهـــا جموم (٣)

فَرحنَا والجِيَادُ مَسمومـــاتٌ ... تَنَفَّس فَي منـــاخرها السَّمومُ (٤)

فَلا وأَبِى مآب لَنأتينـــها ... وإن كانتْ بهـــا عَرب ورومُ

فَعبأنَا أَعنتها فَجـــاءت ... عَوابِسُ والغُبَار لَها بريـــمُ (٥)

بِذِى لَجب كأن البيضَ فيـــه ... إِذا بَرزت قَوانِسها النجـــومُ (٦)

فَراضية المعِيشَة طلقتـــها ... أَسِنَّتها فَتنكح أو تَئيـــمُ (٧)

---

(١) أجأ : أحد جبلى طيىء والجبل الآخر سلمى . وفرع : مكان بأجأ . تغر : تطعم مرة بعد أخرى . والعكوم : جمع عكم وهو الجنب .

(٢) أى حذوناها نعالا من حديد جعله سبتًا لها ، مجازًا . وصوان من الصون ، أى يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فهو فعال من الصون ، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصـوان يبـس الأرض أى لا سبت له إلا ذلك ، ووزنه فعلان من قولهم : نخلة خاوية أى يابسة ، وعين الفعل فى صوان ولامه واو ، وأدخل صاحب العين - أى الخليل بن أحمد الفراهيدى - فى الصاد والواو والياء هذا اللفظ فقال : صوى يصوى : إذا يبس ، ونخلة صاوية ، ولو كان لامه ياء لقيل فى صوان : صيان ، كما قيل طيان وريان ، ولكن لما انقلبت الواو ياءً من أجل الكسرة ظن الحرف من ذوات الياء .

(٣) معان بفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره البكرى بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والمعان أيضًا حيث تحبس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمعنت النظر ، أو من الماء المعين ، فيكون وزنه فعالا ، ويجوز أن يكون من العون ، فيكون وزنه مفعلاً ، الفترة : السكون ، الجموم : اجتماع القوة .

(٤) السموم : الريح الحار .

(٥) البريم : أصل معناه : الخيط المفتول الذى فيه لونان مختلطان ، وهنا يريد أن لون الخيل اختلط بلون التراب .

(٦) بذى لجب : أى بجيش ذى لجب أى مختلط الأصوات ، البيض : ما يوضع على الرأس من الحديد ليحميه ، القوانس : أعالى البيض .

(٧) تئيم : تبقى دون زوج .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس . فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أَدَّيتنى وَحــملْت رَحْلِى ... مَســيرة أَرْبع بَعْدَ الحسَاء (١)
فَشأنك نَعْم وخــلاك ذَم ... وَلاَ أرجع إلى أهْلـى وَرائِى
وَجاء المسْــلِمونَ وغَادَرُونى ... بِأرضِ الشام مُشْتهـى الثَّواءِ
وَرَدَّكَ كُل ذِى نَســبٍ قَرِيبٍ ... إلى الرحمن مُنْقَطِع الإخَــاء
هُنَالِكَ لا أُبَالِى طَلــعَ بَعْلٍ ... وَلاَ نَخْلٍ أَسَافلهــا رَوَاءُ (٢)

فَلما سمعتهن منه بكيت قال : فخفقنى بالدرة . وقال : ما عليك يا لكع (٣) آن يرزقنى الله شهادة وترجع بين شعبتى الرحل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يَا زَيدُ زَيد اليَعْملات الذبل ... تَطاول الليل هُدِيتَ فَانزِلِ (٤)

• لَقاء الروم وحُلَفائهم :

قال ابن إسحاق : فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم (٥) البلقاء لقيتهم جموع هرقل (٦) ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا (٧) العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبأ

---

(١) الحساء : جمع حسى وهو ماء يختفى فى الرمل حتى يجد مكانا صلبًا فيستقر .

(٢) البعل : من يشرب بعروقه من الزرع دون رى ، وبعل أيضًا معناه : زوج ، ومنه قوله : ﴿ وهذا بعلى شيخًا ﴾ أى زوجى شيخًا كبيرًا .

(٣) اللكع : اللئيم أو الأحمق .

(٤) اليعملات : النوق السريعة ، والذبل : التى أهزلها السير .

(٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين البلاد .

(٦) هرقل : ملك الروم - وكان نصرانيًا .

(٧) دنا : اقترب .

لهم المسلمون (١) فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بنى عـذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك .

• استشهاد زيد بن حارثة :

قال ابن إسحاق ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط (٢) فى رماح القوم .

• استشهاد جَعْفر :

ثم أخذها جعفر (٣) فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه (٤) القتال اقتحم (٥) عن فرس له شقراء فعقرها (٦) ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام (٧) .

وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى وكان أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة

---

(١) أى تجهزوا واستعدوا لهم . (٢) شاط : أى تورع .

(٣) أى أخذ الراية . (٤) ألحمه : وقع فيه فلم يجد له مخرجا .

(٥) اقتحم عن فرسه : رمى نفسه من عليها .

(٦) عقرها : ضرب قوائمها بسيفه . ولم يعب ذلك عليه . فدل على جوازه مخافة أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا فى باب النهى عن تعذيب البهائم ، وقتلها عبثًا غير أن أبا داود خرج هذا الحديث فقال : حدثنا النفيلى قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثنى : أبى الذى أرضعنى ، وهو أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزاة غزاة مؤتة ، قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتل .

قال : أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ، وقد جاء فيه نهى كثير عن أصحاب النبى ﷺ .

(٧) قال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه – وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء .

قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يَا حَبَّذَا الجَنة وَاقْترابهـــا ... طَيِّبَةً وَبَاردًا شَرَابُهـــا

وَالرومُ رُوْمٌ قَـد دَنَا عَذَابها ... كَافرةٌ بَعيدة أَنْســابُها

عَلىَّ إذَ لاقَيتُها ضَرابهـــا

• استشهاد عبد الله بن رواحة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى [١] ، وكان أحد بنى مرة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمـــــت يَا نَفْسِ لَتُنْزِلَنَّهُ ... لَتَنْزِلنَّ أَو لَتكْـــــــرِهَنَّه

إنْ أَجْلَب الناس وَشدوا الرنه ... مَالِى أَراك تَكْرَهِـينَ الجنَّهْ [٢]

قَد طَال مَا قَد كُنْتِ مُطمـــئنه ... هَل أَنْت إلا نُطفة فى شَنَّه [٣]

وقال أيضًا :

يَا نَفْس إلا تُقْتَلى تَمـــوتِى ... هَذا حمامُ الموتِ قَد صَلَيتِ

وَما تَمنيت فَقَد أعطـــــيت ... إنْ تفعلى فَعلهمَــا هُديتَ

يريد صاحبيه : زيدًا وجعفرًا : ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق [٤] من لحم فقال : شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس [٥] منه نهسة ، ثم سمع الحطمة [٦] فى ناحية الناس ، فقال وأنت فى الدنيا ؟! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

إمارة خالد : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان ، فقال : يا معشر

---

(١) أبى الذى أرضعنى : يقصد أن يقول : أبى من الرضاعة .

(٢) الرنة : صوت يشبه البكاء .

(٣) النطفة : الماء القليل الصافى . الشنة : السـقاء البالى ، ضرب بذلك مثلا بقصر العمر .

(٤) العرق : عظم عليه بعض اللحم .

(٥) انتهس : أخذ اللحم بمقدم أسنانه ونتشه .

(٦) الحطمة : كسر الناس لبعضهم .

المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم ، وخاشى [١] بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

الرسول يتنبأ بما حدث [٢] قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدًا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدًا ؛ قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدًا ؛ ثم قال : لقد رفعوا إلىَّ [٣] فى الجنة ، فيما يرى النائم ، على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارًا [٤] عن سريرى صاحبيه ، فقلت : عم هذا ؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى :

حُزن الرسول على جعفر : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخُزَاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ وقد طحنت أربعين منا وعجنت عجينى ، وغسلت بَنِىَّ ودهنتهم ونظفتهم [٥] . قالت : فقال لى رسول الله ﷺ : ائتينى ببنى جعفر ؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشممهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، ما يبكيك ؟ أبلغك

---

(١) والمخاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم فقد قيل : كان العدو مائتى ألف من الروم ، وخمسين ألفًا من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفًا : وقد قيل : إن المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، ومن رواه حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الحشى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف أنه سئل عن قوله : حاشى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم .

(٢) وهذه من المعجزات الخاصة بالنبى ﷺ - أخبره الله بها وكشف عنه الحجاب ، وقد قال ذلك . قبل أن يأتيه الخبر ولم يكن النبى معهم فجاء الخبر كما قال لهم ﷺ وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ .

(٣) رفعوا إلىَّ : أى كشف الله الحجاب عنه حتى رآهم يتنعمون فى الجنة .

(٤) الازورار : الميل .

(٥) بَنِىَّ : أى أبنائى ، دهنتهم أى مشطتهم وأحسن هيئتهم وهندامهم .

عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقمت أصيح ، واجتمعت إليَّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم (١) .

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنيننا وفتننا ، قال فارجع إليهن فأسكتهن قالت . فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك - قال : تقول وربما ضر التكلف أهله قالت : قال فاذهب فسكتهن ، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب ، قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ قالت وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثى في أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قتادة العذري ، الذي كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن زافلة فقتله ، فقال قطبة بن قتادة :

طَعَنْتُ ابْن زَافِلَةَ بن الأرا ... شِ بِرُمْحٍ مَضى فِيه ثم انْحَطَمْ (٢)
ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِه ضَرْبَة ... فَمال كَما مَال غُصن السَّلَمْ (٣)
وسُقْنا نِساءَ بَنِي عَمِّه ... غَداة رَقُوقين سَوق النَّعَمْ (٤)

• كَاهِنة حَدَس ومقالتها :

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حَدَس (٥) حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً ، قد قالت لقومها من حدس ، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم - أنذركم قوماً خزرا (٦) ، ينظرون شزرا (٧) ويقودون الخيل تترى ، ويهرقون

(١) وهذا أصل في طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة ، وطعام القادم من السفر ، النقيعة ، وطعام الدخول في الزواج الوكيرة ، وكان الطعام الذى صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير ، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فعمدت سلمى مولاة النبي ﷺ إلى شعير ، فطحنته ، ثم آدمنه بزيت وجعلت عليه فلفلا ، قال عبد الله ، فأكلت منه ، وحبسني النبي ﷺ مع إخوتي في بيته ثلاثة أيام .

(٢) انحطم : انكسر . (٣) السلم : شجر العضاه ، نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة .

(٤) رقوتين : اسم موضع . (٥) حدس : قبيلة من لخم باليمن

(٦) الخزر : من يضيقون عيونهم وينظرون ، وهو الذى ينظر بمؤخرة عينه .

(٧) الشزر : نظر العداوة .

دمًا عكرًا . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ، فلم تزل بعد أثرى حدس . وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدس ، فلم يزالوا قليلاً بعد . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً .

● عودة الجيش والتقاء النبى بهم :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جَعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : فلما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون . قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة . فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطونى ابن جعفر ، فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون يا فرار ، فررتم فى سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى [1] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله عن أم سَلمة زوج النبى ﷺ ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة : ما لى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فرّار ، فررتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته فما يخرج .

* * *

---

(١) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبى ﷺ : نحن الفرارون يا رسول الله ؟ فقال : بل أنتم الكرارون ، وقال لهم : أنا فئتكم ، يريد . أن من فر متحيزا إلى فئة المسلمين فلا حرج عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فر عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أى لم يلجأ إلى حوزته ، فيكون معه فالمتحيز متفيعل من الحوز ، ولو كان وزنه متفعلاً كما يظن بعض الناس لقيل فيه : متحوز ، وروى أن عمر رضي الله عنه حين بلغه قتل أبى عبيد بن مسعود وأصحابه فى بعض أيام القادسية ، قال : هلا تحيزوا إلينا ، فإنا فئة لكل مسلم .

ما قيل من الشعر فى غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قيس بن المسحَّر اليعمرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فَوالله لاَ تَنْفَكَ نَفْســـى تلومُنى ... عَلى مَوْقِفِى والخَيل قَابعة قُبْلُ [1]

وَقَفْتُ بِهـــا لاَ مُسْتَجيرًا فَنافذًا ... وَلا مَانعاً مَنْ كَان حَـم لَه القَتْلُ

عَلى أَننى آسَيْتُ نَفْسِى بَخالــــد ... أَلا خَالد فى القَومِ لَيـس له مِثْل

وَجَاشَتْ إِلىَّ النفْس من نَحوِ جَعْفرٍ ... بَمؤتَة إذ لا يَنفَع النابــلِ النبْلُ

وَضَمَّ إلينا حجْزَتَيهم كليهمـــــا ... مُهَاجِـر لاَ مُشْرِكُونَ وَلَا عزلُ [2]

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه ٠

قال ابن إسحاق وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت :

شعر حسان فى غزوة موتة :

تَأَوبَنى ليـــــــل بيَثرِب أَعْسَر ... وَهمٌ إذا مَا نوم النَّاس مسهرُ

لذِكْرَى حَبيبٍ هَيَّجتْ لِى عَبْرةً ... سَفوحًا وأَسبَابُ البُكَاء التَّذكرُ

بَلَى إِنَّ فَقْدَانَ الحَبيـــب بَلية ... وَكم من كَريـــم يبتلى ثم يصبرُ

رَأيتُ خيارَ المؤمنـــينَ تَواردُوا ... شعوب وخلــــفا بَعدهم يَتأخرُ

فَلا يَبعُدنَّ اللهَ قَتْلـــى تَتابعوا ... بمُؤتَة منهم ذُو الجنَاحيـــن جعفرُ

وَزَيْد وعَبْد الله حين تتابعـــوا ... جَميعًا وأَسْبَابِ المنيَّة تَخْـــطُرُ

غَداة مَضَوا بالمؤمنين يَقُودهم ... إلى الموتِ مَيْمون النَّقيبَة أَزْهَرُ

---

(١) القُبل : إقبال نظر كل من العينين على الآخر ٠

(٢) حجزتيهم : ناحيتهم ٠

أغرُّ كضوءِ البدرِ مِنْ آلِ هَاشمٍ ... أبِـــى إذا سِيمَ الظُّلامَةَ مَجْسرُ
فطَاعَنَ حتـــى مَال غَيْر مُوسد ... بمعترَك فيـــــه قنًا مُتكَسِّرُ
فَصـــــار مع المستَشْهدِين ثَوابهُ ... جِنَان ومُلْتَف الحَدَائق أخضَـــرُ
وكُنَّا نَرى فى جَعْفرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ... وفَاءً وأمرًا حَازمًا حَـــين يأمُرُ
وَما زَال فى الإِسْلامِ من آل هَاشمٍ ... دَعائـــــم عزًا لم يَزلنَ ومَفْخَرُ
هُم جبَل الإِســـلامِ والنَّاس حَولَهم ... رِضَام إلى طَوْدٍ يَروق ويَبْهَرُ (١)
بهاليل منهـــــم جَعفر وابن أمه ... عَلى وَمنهم أحمد المتخَيرُ (٢)
وحـــمزة والعَبَّاس مِنْهُم ومِنْهُم ... عقيل ومَاء العَودِ مِنْ حَيْث يعْصرُ
بِهم تفـــرج اللأواء فِى كُل مَأزق ... عَماس إذا ما ضَاق بالناس مَصْدَرُ (٣)
هُم أوليـــــاءُ الله أنزَل حُكْمَهُ ... عَليهم ، وفِيهم ذَا الكِتاب المطَهَّرُ

• شعر حَسَّان فى رِثاء جَعْفَر :

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه :

ولَقَد بكيتُ وعزَّ مَهْلك جَعْفر ... حُب النَّبِى عَلـــــى البَرِيةِ كُلِّهَا
ولَقد جَزَعْتُ وقُلتُ حِين نُعيتَ لِى ... منْ للجلادِ لَدى العقَاب وظلها (٤)
أو البِيض حَين تُســـل من أغمَادها ... ضَربًا وانهال الرِّمَاح وعَلِّها (٥)
بَعْدَ ابن فَاطمَة المبَارك جَعفرٌ (٦) ... خَيرُ البَرية كُلهـــــــا وأجَلّهَا
رزءًا وأكرَمها جَميعـــــا محتدا ... وأعزّها مُتَظَلّمًا وأذَلهـــــــــــا
للحق حَين يَنوبُ غَيـــــر تَنَحل ... كَذبا ، وأنـــــداها يدًا ، وأقلها

(١) الرضام : الحجارة المرضومة ، وهى المجموعة فوق بعضها . الطود : الجبل .

(٢) البهاليل : السادة .

(٣) العماس : المظلم .

(٤) العقاب : اسم راية من رايات الرسول ﷺ .

(٥) الإنهال : الشرب الأول وعلها : شربها الثانى .

(٦) فاطمة هى بنت أسد بن هاشم أم سيدنا على بن أبى طالب وأم جعفر .

فحشا ، وأكثرها إذا ما يَجتـــدى فَضْلا ، وأبذَلها نَــدى ، وأَبلها [١]
بِالعرف غَير محَــــــمد لاَ مثله حَىٌّ من احْيـــــاء البَرية كلها

• أَسْمَاء شُهَداء مُؤْتَة :

مِن قريش ثم من بنى هاشم :

جَعفر بن أبى طالب ﷺ – وزيد بن حارثة –– ﷺ – .

• من بَنى عَدى :

ومن بنَى عدَى بن كَعب : مسعود بن الأسود بن حَارثة بن نَضْلة .

• من بنَى مالك :

ومن بنى مالك بن حسل وهب بن سعد بن أبى سرح .

• من الأنصار :

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عـــبد الله بن رَوَاحة وعبادة ابن قيس .

• من بَنى غَنْم بن مالك بن النجار :

الحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

• ومن بنى مَازن بن النجار :

سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكر ابن شهاب .

• من بَنِى مازن بن النجار :

أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما لأب وأم .

• من بنى مالك بن أفْصَى :

عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى .

* * *

---

(١) الاجتداء : طلب المعروف .

ذكرُ الأسباب الموجبة للسير إلى مكة ، وذكر فَتْح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ما وقع بين بنى بكر وخُزاعة : ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير ، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمى ، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رزن [1] - خرج تاجرًا ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزَن الديلى - وهم مفخر بنى كنانة وأشرافهم - سلمى وكلثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم [2] .

قال ابن إسحاق . وحدثنى رجل من بنى الديل ، قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونودى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير : عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل

---

(١) ذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه : رزنا بكسر الراء ، قال : والرزن: نقرة فى حجر يمسك الماء ، وفى كتاب العين : الرزن أكمة تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بنى رزن من بنى بكر ، وقد قيل فيه : الدئل .

(٢) أنصاب الحرم هنا : حجارة توضع بين الحل والحرم للفصل بينهما .

فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده ٠

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود ابن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تَابعه حتى بيَّت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا [1] خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلاً يقال له منبه وكان منبه رجلا مفئودا [2] خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك فأما أنا فوالله إنى لميت ، قتلونى أو تركونى ، لقد انبت [3] فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبها فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء ٠ ودار مولى لهم يقال له رافع ، فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه :

لَما رأيتُ بنى نُفَاثَة أقبلُوا ... يغشون كل وَتَيرة وَحجَابِ [4]
صَخرًا وَرزنًا لا عَريبَ سِوَاهُم ... يزْجون كل مُقَلَّصٍ خَنَّابِ [5]
وَذكرتُ ذَحلا عِندَنا مُتقَادمًا ... فِيما مَضى من سالف الأَحقَابِ [6]
وَنَشِيتُ رِيحَ الموتِ من تِلْقَائِهم ... وَرهبتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّابِ [7]

---

(١) حازوا : ساقوا ٠ (٢) مفئودًا : ضعيف الفؤاد ٠

(٣) انبت : انقطع ٠

(٤) الوتيرة : الأرض الممتدة ٠ الحجاب : ما اطمأن من الأرض ٠

(٥) لا عريب : لا أحد ٠ المقلص : الفرس طويل القوائم ، منضم البطن ٠ الخناب : واسع المنخرين ٠

(٦) الذحل : طلب الثأر ٠ (٧) نشيت : شممت ٠

وَعَرفت أَنْ مَنْ يثْقَفوه يَتركوا ... لَحما لمجــرية وشَلو غُرَابِ [(١)]
قومت رجِلا لاَ أَخـــافُ عثَارهَا ... وَطَرَحْتُ بالمتن الـــعراءِ ثِيابى [(٢)]
ونَجوتُ لا ينــجو نَجائِى أحْقب ... علج أقب مشمر الأقْراب [(٣)]
تَلْحَى وَلو شَهِدَت لَكان نكيرهَا ... بَوْلاَ يَبُــــلُّ مُشَافرَ القبْقَابِ
القَـــوم أعْلَم مَا تَركْتُ مُنَبهـــا ... عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَاسألى أصْحَابِى

قال ابن إسحاق : وقال الأخْزر بن لَعْط الديلى ، فيما كان بين كنانة وذكرت ذحلاً عندنا متقادمًا عن أبى عبيدة ، وقوله « خَنَّاب » و « عِلج أقب مشمر الأقراب » عنه أيضًا ٠

● شعْر الأَخزر :

قال ابن إسحاق : وقال الأخزر بن لعط الديلى ، فيما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب :

أَلاَ هَلْ أتى قضوى الأَحَابِيش أنَّنَا ... رَددنَا بنى كَعْبٍ بأفوق نَاصِلِ [(٤)]
حَبَسْنَاهـــم فى دارة العَبْدِ رَافِعِ ... وَعنْد بُدَيل مَحْبســـا غير طَائِل
بِدارِ الدليل الآخذ الضيْمِ بَعدما ... شَفَينا النفوسَ مِنهــم بالمناصِلِ
حَبسنَاهم حتَّى إذا طَال يومهـــم ... نَفَحْنَا لهَم من كل شِعب بِوَابلِ [(٥)]
نَذبحُهُمْ ذَبْحَ التُّيُوسِ كَأنَّنـــا ... أُسُودٌ تُبَارى فيهـــم بالقوَاصِلِ

---

(١) المجرية : اللبؤة التى لها أجْراء أى أبناء ٠ الشلو : بقية الجسد ٠

(٢) المتن : ظهر الأرض ٠

(٣) نجوت : أسرعت ٠ والأحقب : حمار الوحش أبيض العجز ٠ علج : غليظ ٠ أقب : ضامر البطن ٠ مشمر الأقراب : منقبض الخواصر ٠

(٤) الأحابيش : من تعاهدوا مع قريش وليسوا منهم ٠ الأفوق : السهم الذى انكسر طرفه الذى يلى الوتر ، والناصل : الذى زال نصله ٠

(٥) نفحنا : وسعنا ، والشعب : ما استوى بين الجبلين ٠ الوابل : فى الأصل المطر الشديد وأراد به هنا الدفعة من الخيل ٠

هُم ظَلمونَا وَاعتدوا فَى مسيرهم ... وكَانوا لَدى الأَنْصابِ أَوَّلَ قَاتِلِ
كَأَنَّهـــم بالجَزْعِ إذْ يَطْرُدُونهم ... بِفَاثور حَفان النعَام الجَوافِلِ (١)

خُزَاعة تستنجد بالرسول : قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكانوا فى عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى ثم أحد بنى كعب ، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس ، فقال :

يَا رَبِّ إِنى نَاشِدٌ محمـــدا ... حلف أَبينا وأَبيه الأَتْلَدا
قَد كُنتم وُلداً وَكُنَّا وَالدا ... ثَمَّت أَسلمنَا فلم نَنْزِع يَدا (٢)
فَانصر هَدَاك الله نَصرا اعتدا ... وَادْع عِبَاد الله يَأتوا مَدَدَا
فِيهم رَسُول الله قَد تجردا ... إِن سيم خَسفًا وَجْهه تَربدَا
فِى فَيْلَقٍ كالبحر يَجْرِى مُزبدا ... إِنَّ قُرَيشا أخلفوكَ الموعَدا
وَنَقَضُوا ميثاقك المـــؤكدا ... وَجعلوا لى فى كُداء رَصَدا
وزَعموا أَن لَسْتُ أَدعو أحدا ... وَهُم أذل وأقـــــل عَدَدا
هُم بيتَونا بالوتير هَجـــدا ... وقَتلونا رُكَّـــعا وسُجَّدَا
يقول : قُتلنا وقد أســلمنا (٣)

---

(١) الجزع : ما انعطف من الوادى . بفاثور : اسم جبل بمكة .

(٢) يريد أن بنى عبد مناف آمهم من خزاعة ، وكذلك : قُصى أمه : فاطمة بنت سعد الخزاعية . والوَلد بمعنى الوُلد : وقوله : ثمت أسلمنا . هو من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : ركعًا وسـجدًا ، فدل على أنه كان فيهم من صـلى لله ، فقتل ، والله أعلم .

(٣) قال ابن هشام : ويروى أيضًا :

فانصر هداك الله نصراً أيدا

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : نُصرت يا عمرو بن سالم . ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان [١] من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب .

ثم خرج بُديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ، ويزيد فى المدة . ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان ابن حرب بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ، ليشد العقد ، ويزيد فى المدة ، وقد رهبوا الذى صنعوا ، فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ ، قال : تسيرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ، قال : أو ما جئت محمداً ؟ قال : لا ، فلما راح بديل إلى مكة، قال أبو سفيان: لئن جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى ، فأتى مبرك راحلته ، فأخذ من بعرها ففته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

أبو سفيان يطلب الصلح : ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر . ثم خرج حتى آتى رسول الله ﷺ فكلمه ، فلم يرد عليه شيئا . ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علىٍّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى عنها . وعندها حسن بن على ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا على ، إنك أمس القوم بى رحِما ، وإنى قد جئت فى حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لى إلى

---

(١) عنان : سحاب .

رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بُنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بُنى ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدت على ، فانصحنى قال : والله ما أعلم لك شيئًا ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك قال : أو ترى ذلك مغنيًا عنى شيئًا ؟ قال : لا والله ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمدًا فكلمته ، فوالله ما رد على شيئًا ، ثم جئت ابن أبى قحافة ، فلم أجد فيه خيرًا ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو [1] .

قال ابن إسحاق : ثم جئت عليًّا فوجدته ألين القوم ، وقد أشار علىَّ بشىء صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئًا أم لا ؟ قالوا : وبمَ أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت . قال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

• الاستعداد لفتح مكة :

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاد ، وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة ﵂ ، وهى تحرك بعض جهازى ﷺ ، فقال : أى بُنية : أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز . قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى . ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . فتجهز الناس .

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

---

(١) قال ابن هشام : أعدى العدو .

عَنانى وَلم أَشْهَد ببَطْحَاء مكةَ ... رجَال بنــــى كَعْب تَحز رقابهَا

بأيدى رِجال لم يَسلُّوا سُيُوفَهم ... وَقَتْلى كثير لَــــم تجن ثيابُهَا [١]

ألا لَيْتَ شعْرى هل تنالن نصرْتى ... سُهَيل بن عَمرو وخَزها وعقابُها

وصَفْوان عَوْد حز من شفر استه ... فَهذا أوان الحــــربِ شَد عِصَابها

فَلا تَأمننا يا ابــــن أم مُجَالد ... إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها [٢]

وَلا تَجزَعوا منـــا فإن سُيوفنا ... لَها وقعة بالمـــوت يَفتح بَابهَا

حَاطب يُحذِّر أهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لى غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وجعل لها جُعلا على أن تبلغه قريشا ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به . وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على ابن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها بالخليقة ، خليقة بنى أبى أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمساه فى رحلها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كُذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك [٣] فلما رأت الجد منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رســول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطبًا ، فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيَّرت ولا بدَّلت ، ولكنى كنت امرءًا ليس لى فى القوم من أصل

---

(١) تجن : تستر ، يريد أنهم قتلوا ولم يستروا بالدفن .

(٢) أعصل : أعوج .

(٣) أى نكشف ما عليك من ملابس ونفتشك .

ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى فى حاطب : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ إلى آخر القصة [(١)] .

• خُروج الرسول إلى مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم ، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد ، بين عسفان وأمج أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين فسبعت [(٢)] سليم وبعضهم يقول ألفت [(٣)] سليم ، وألفت مزينة ، وفى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظهران وقد عَميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبرًا أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق .

إسلام أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية : قال ابن إسحاق : وقد كان

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ١ : ٤ .

(٢) صارت سبعمائة .

(٣) ألفت : صارت ألفًا .

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنيق العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى ، فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيان بُنى له . فقال : والله ليأذن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ، ثم أذن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما .

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مضى منه ، فقال :

لَعَمْرِك إنى يَوم أَحْمِل رَاية ... لَتَغلب خَيْلُ الَّلات خَيلَ مُحمدِ
لكالمدلج الحَيران أظلم لَيْلهُ ... فَهذا أوانى حين أُهْدى وأهتدى
هَدانى هَادٍ غَير نفسى ونالنِى ... مَعَ اللهِ من طردت كُل مُطْردِ
أَصُدُّ وأنأى جاهدًا عن محمد ... وأدعى وإنْ لم أنْتَسب من مُحمدِ
همُ ما هُم من لمَ يَقلْ بِهواهم ... وإن كانَ ذَا رأى يَلم وَيفْنَد (١)
أُريد لأَرضيهم ولَسْت بِلائط ... مَعَ القوم مَا لم أَهْدِ فى كل مَقْعَد(٢)
فَقُل لِثقيفٍ لاَ أريد قتالهَا ... وَقل لِثقيف تلك : غَيرى أَوْعدى
فَما كنتُ فِى الجيش الذى نَال عَامرًا ... وَما كان جرًا لِسانى ولا يدِى (٣)
قَبائل جَاءتْ من بلادٍ بَعيدةٍ ... نَزائع جَاءت من سهام وسَردد

● **قِصَّة إسلام أبى سفيان :**

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد (٤) رسول الله ﷺ قوله :

---

(١) يفند : يكذب .

(٢) لاط : لصق .

(٣) جرا : جراء .

(٤) أى أنشد أبو سفيان لرسول الله ﷺ .

« ونالنى مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله ﷺ فى صدره ، وقال : أنت طردتنى كل مطرد ٠

فلما نزل رسول الله ﷺ من الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب ٠ فقلت: واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوا فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر ٠ قال : فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ٠ فخرجت عليها ٠ قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلى أجد بعض الحطّابة [١] أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة ، قال : فوالله إنى لأسير عليها ، والتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء : وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرًا ، قال٠ يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها [٢] الحرب ٠ قال : يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتى فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ، قال : ما لك ؟ فداك أبى وأمى ، قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ فى الناس ، واصباح قريش والله ٠ قال : فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى ، قال قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، قال : فركب خلفى ورجع صاحباه ، قال : فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها ، قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته ، حتى مررت بنار عمر ابن الخطاب ﷺ ، فقال : من هذا ؟ وقام إلىَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ، قال: أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ٠ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعنى فلأضرب عنقه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد أجرته ،

(١) الذين يجمعون الحطب ٠

(٢) أحرقتها ٠

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه الليلة دونى رجل ، فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ، فقال : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلىَّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله ﷺ : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به . قال : فذهبت به إلى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به إلى رســـول الله ﷺ ، فلما رآه رســـول الله ﷺ قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعـــلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيـــره لقد أغنى عنى شيئا بعدُ ، قال : ويحـــك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســـول الله قبل إن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر [(١)] ، فاجعل له شيئا . قال : نعم [(٢)] ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس ، احبسه بمضيـــق الوادى عند خطم الجبل [(٣)] ،حتى تمر به جنود الله [(٤)] فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى،حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه .

عَرْض الجيش على أبى سفيان : قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : ما لى ولسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : ما لى ولمزينة ، حتى

---

(١) أى الاعتزاز وارتفاع مكانته .

(٢) وهذا دليل على أن الرسول ﷺ كان ينزل الناس منازلهم ويعرف لهم حقهـــم وقدرهم وكل ذلك لأجل تآليف القلوب ، وهى أخلاق وجب على المسلم التحلى بها .

(٣) الخطم : الأنف وهى شىء يخرج من الجبل يضيق به الطريق .

(٤) أى جيش المسلمين وأبطال الموحـــدين والذين نصـــروا الديــــن وآزروا رســـول رب العالمين .

نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : ما لى ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله ﷺ وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قِبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا ، قال : قلت يا أبا سفيان ، إنها النبوة قال : فنعم إذن [١] .

• تَحْذير أبى سفيان أهل مكة :

قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم [٢] به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس [٣] قبِّح من طليعة قوم قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد [٤] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذى طُوى وقف على راحلته معتجرًا بشقة بُرد حبرة حمراء وأن رسول الله

---

(١) وهذه شهادة منه لقوة الإسلام وقوة الرسول ﷺ والمسلمين وتأييد الله لهم .

(٢) أى لا طاقة لكم به .

(٣) الحميت : الزق ، نسبة إلى الضخم والسمن ، والأحمس الذى لا خير عنده ، من قولهم عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حميد فى حديثه أنها قالت : يا آل غالب اقتلوا الأحمق ، فقال لها أبو سفيان . والله لتسلمن أو لأضربن عنقك ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها ، ثم استقرًا على نكاحهما ، وكذلك حكيم ابن حزام مع امرأته حجة للشافعى ، فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله أو يسلم قبلها ، ما دامت فى العدة وفرق مالك بين المسألتين على ما فى الموطأ وغيره .

(٤) ويدل هذا على أنهم خضعوا وسلموا واستسلموا .

ﷺ ليضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرَّحل ·

• إسْلامُ أبى قُحافة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوى قال أبو قُحافة لابنة (١) له من أصغر ولده : أى بنية اظهرى بى على أبى قبيس (٢) قالت : وقد كف بصره ·

قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أى بُنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مُقبلا ومدبراً ، قال : أى بُنية ، ذلك الوازع يعنى الذى يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دفعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طوق من ورِق (٣) ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه ، يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت · قال : قالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر ، وكأن رأسه ثغامة (٤) ، فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا من شعره (٥) ،

---

(١) واسمها : أم فروة زوجة تميم الدارى ومن بعده الأشعث بن قيس · أو هى قريبة تزوجها قيس بن سعد بن عبادة ·

(٢) أبو قبيس : جبل بمكة ·

(٣) الطوق : القلادة تطوق العنق · الورِق : الفضة ·

(٤) الثغامة : واحدة الثغام ، نبات أبيض الشجر والزهر ، يشتد بياضه إذا يبس ·

(٥) هو على الندب ، لا على الوجوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغير شيبه ، وقد روى من طريق أبى هريرة أنه خضب · وقال من جمع بين الحديثين : إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب · وقال أنس : لم يبلغ النبى ﷺ حد الخضاب وفى البخارى عن عثمان بن موهب : قال : أرتنى أم سلمة شعرًا من شعر رسول الله ﷺ - وفيه أيضًا عن ابن موهب قال : بعثنى أهلى بقدح إلى أم سلمة ، وذكر الحديث ، وفيه اطلعت فى=

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أى أُخية [(١)] احتسبى طوقك ، فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

• دخول مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذى طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء [(٢)] .

• تخوف المهاجرين على قُريش من سَعْد :

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أنَّ سعداً حين وجه داخلاً ، قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين [(٣)] .

= الجلجل فرأيت شعرات حمرًا ، وهذا كلام مشكل وشرحه فى مسند وكيع بن الجراح قال : كان جلجلا من فضة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله ﷺ .

فإن قيل فهذا يدل على أنه كان مخضوب الشيب ، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شعيرات تُعد .

فالجواب : أنه لما توفى خضب من عنده شىء من شعره : تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك . قال الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له ، وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر .

(١) تصغير أخت .

(٢) هى ثنية كداء ، بفتح الكاف والمد ، وهى بأعلى مكة ، وكدًى من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال له : كُدا ، بضم الكاف والقصر وأنشدوا فى كَداء ، وكدى :

أقفرت بعد عبد شمس [illegible] فكدى فالركن والبطحاء

وبكداء وقف إبراهيم – عليه السلام – حين دعا لذريته بالحرم ، كذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فقال : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ فاستجيبت دعوته ، وقيل له : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً ﴾ ألا تراه يقول : يأتوك ، ولم يقل : يأتونى ، لأنها استجابة لدعوته فمن ثم – والله أعلم – استحب النبى ﷺ إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لأنه الموضع الذى دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم .

(٣) قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب .


السيرة
النبوية